

بين النهرين: منطقة بين نهرَي دجلة والفرات، تقع إلى الشمال والشمال الغربيّ من بغداد، يُسمّيها العرب الجزيرة، ويُطلق الاسم توسّعاً على المنطقة التي تحدّها جبال زاغرس من الشمال الشرقيّ، وأطراف شبه الجزيرة العربيّة من الجنوب الغربيّ، وتمتدّ من الخليج الفارسيّ في الجنوب الشرقيّ حتى مرتفعات آنتي- طوروس¹ في الشمال الغربيّ [سمّي اليونانيون هذه المنطقة للمرّة الأولى باسم مسوبوتاميا² (بين النهرين)].

فقط بالقرب من بغداد، يتحوّل دجلة والفرات إلى نهرين توأمين، أي "رافدين" لشطّ العرب، وكان مسيرهما في حالة تغيير مستمرّ طويلة الألفيّات الماضية. منطقة بين النهرين، في جنوبيّ الرّماديّ (على بعد حوالي 110 كلم غربيّ بغداد) الواقعة على ضفّة الفرات ومنعطف دجلة في الأسفل من سامراء (على بعد حوالي 110 كلم إلى الشمال- الشمال الغربيّ من بغداد) أرضٌ مستوية غربيّة. يبلغ الفرق في ارتفاعها عن سطح البحر من بغداد حتى فوهة اروندرود [نهر اروند]، حوالي عشرة أمتار. في أقصاها، ناحية تضمّ مستنقعات ومقاصب واسعة تُسمّى "الأهوار". معدّل المياه الموجودة غير منتظم نتيجةً لمعدّل الحرارة المرتفع، وقلة المتساقطات الجويّة، والأراضي سهليّة، صلبة وجافّة، وغير صالحة للزراعة على الأقلّ لمدة ثمانية أشهر سنويّاً. لذلك فإنّ الزراعة، التي كانت قد بدأت على ما يبدو في الألفيّة العاشرة قبل الميلاد، في المناطق المرتفعة، والمعرّضة لهطول الأمطار، وفي التلال ما بين النهرين الطبيعيّة، بدأت على ما يبدو في بلاد ما بين النهرين المركز الحقيقيّ للحضارة، حيث ابتكرت وسائل اصطناعيّة للرّيّ، وجُرّت المياه إلى الأراضي الشاسعة من خلال شبكة واسعة من الأنهار. الرّيّ واستغلال الأراضي، جعللا بلاد ما بين النهرين الجنوبيّة دياراً عامرة، تغدّي عدداً كبيراً من السكّان. وتالياً تلقّف سكّان جنوبيّ بلاد ما بين النهرين الحضارة التي كانت قد انطلقت في الألفيّة الرابعة قبل الميلاد من شماليّ بلاد ما بين النهرين، وأقاموا في تلك الديار المدن- الدول، مثل إريدو³، وأور⁴، ولارسا⁵، ولاغاس⁶، ونيبور⁷، وأكاد⁸، وبابل.

بلاد ما بين النهرين غنيّة بالمنتجات الزراعيّة والحيوانيّة، والثروة السمكيّة، وبساتين النخيل، والصناعات المرتبطة بالمقاصب؛ أمّا الخشب والحجارة والمعادن، فنادرة الوجود، أو غير

¹ - Anti- taurus
² - Mesopotamia
³ - Eridu
⁴ - Ur
⁵ - Larsa
⁶ - Lagash
⁷ - Nippur
⁸ - Accad; Akkad

موجودة أصلاً؛ وتالياً كانت بلاد ما بين النهرين الجنوبيّة منذ البدء، بلاداً تجارية. من خصائص هذه البلاد، استخدام الصلصال في الآثار المعماريّة والفنيّة، كما أنّ الكتابة على الألواح الطينيّة من العلامات الفارقة في هذه الديار.

احتضنت بلاد ما بين النهرين لغاتٍ وثقافاتٍ وحضاراتٍ متنوّعة، وتعاقبت عليها العصور، وكانت تفتقد الوحدة الجغرافيّة الحقيقيّة، والأهمّ من كلّ ذلك أنّها لم تكن ذات عاصمة دائمة. لقد اشتهرت حضارة ما بين النهرين بالكثرة والتنوّع؛ وقد أثرت هذه الحضارات ببعضها البعض؛ فتأثير الحضارات السومريّة القديمة في الحضارة الأكاديّة، ونفوذ ملوك السلالة الثالثة في أور، الوارثة للحضارة المركّبة السومريّة- الأكاديّة في الربع الأوّل من الألفيّة الثانية قبل الميلاد أمر محسوس. تغلّغت حضارة ما بين النهرين في عصور الحثّيين، ابتداء من العام 170 ق. م، في مناطق واسعة من الأناضول. كان للبابليين مساهمة عظيمة في علم الرياضيات وعلم الفلك. ازدهرت النظريّات القانونيّة وتجدّرت في العصور الأولى من هذه الحضارة، ودوّنت في عدّة مجموعات من الأحكام القانونيّة المسماة باسم مدوّنة القانون أو الشريعة، أشهرها شريعة حمورابي.



مؤسّسة الطبوغرافيا

خريطة بلاد ما بين النهرين التاريخيّة

ابتداء من عشرة آلاف سنة قبل الميلاد، إلى حين ظهور المواطن الكبرى الدائمة، يمكننا تعرّف المراحل التكوينيّة التالية في بلاد ما بين النهرين، التي استمرّت بعضها بموازاة الأخرى: تغيير نمط الحياة البدويّة، أو العبور من التغيير الدائم أو الفصليّ لمكان السكن، الذي كان من السمات المميّزة للصيادين ولجماعات الرعاة الأولى، إلى العيش في موضع واحد لعدّة سنوات، أو حتى على نحو دائم؛ العبور من الزراعة التجريبيّة للنباتات، إلى الزراعة العمليّة والمدروسة للغلال؛ بناء المساكن، وتالياً "نصب" الآلهة في المعابد؛ دفن الأموات في المقابر؛ ابتكار الأوعية الفخاريّة، التي كانت تُصنع أولاً بالأيدي، وبعد ذلك صنّعت بواسطة الدولاب، ثمّ زُحرفت؛ تكوين حرف متخصصّة، وتوزيع العمل؛ إنتاج المعادن.

الموطنان الزاويّان تشبهي وشنيدّر المتجاوران الواقعان في الشمال الغربيّ من راوندوز، يعودان إلى المرحلة الانتقاليّة من الألف العاشر إلى الألف التاسع قبل الميلاد. على حدود التلّة الطبيعيّة في ما بين النهرين، في قلعة جرّمو، الواقعة في شرقيّ مدينة كركوك، يمكننا متابعة عصر يمتدّ تقريباً إلى ثلاثة آلاف سنة. من المرجّح أن يكون هذا الموطن قد ظهر إلى الوجود منذ حوالي 6750 سنة قبل الميلاد.

قرينا حسّونة (بالقرب من الموصل) وتلّ الصوّان (بالقرب من سامراء)، هما أقدم القرى المكتشفة حتى الآن في سهل ما بين النهرين، وتعودان إلى حوالي ألف سنة بعد ذلك. كانت قرية تلّ الصوّان تقع في جنوبيّ حدود الزراعات المرويّة بالمطر، وهي تاليّاً، كانت تعتمد حتماً على نوع من الرّيّ- تعتمد على جرّ المياه من دجلة- وتزوّدنا بتاريخ يصبح بعده الإسكان في الأجزاء الجنوبيّة من بلاد ما بين النهرين الجنوبيّة أمراً ممكناً.

من أكثر المواضع ملائمة لتتبع التقدّم في وسائل التجارة وأدواتها من خلال الطرق المائيّة، لا سيّما السرعة المتزايدة في التقدّم المعماريّ في هذه المنطقة، هي مدينة إريدو، التي كانت طيلة العصور التاريخيّة مركز أتباع الإله السومريّ إنكي¹. يُحسب معبد إريدو عادةً النموذج الأوّل للمباني الدينيّة في العصر البابليّ المتأخّر، أي الزيقورات. وصل التطوّر المعماريّ في بناء المعابد الكبرى في إرك² [اوروك³/إرخ، المدينة السومريّة القديمة] إلى أوجهه تقريباً في أواخر الألفيّة الرابعة وأوائل الألفيّة الثالثة قبل الميلاد.

كما أنّ الهويّة القوميّة لأهالي بلاد ما بين النهرين غير معروفة، لا تتوافر معلومات أيضاً عن التنظيم الاجتماعيّ للمواطن قبل التاريخ. في دراسة إحدى القرى، لا يمكننا بأيّ وجه من الوجوه استنتاج أي أمرٍ حول "الدولة"، أو أيّ علاقة بما هو فوق الناحية، والذي من الممكن أن يكون تحت سلطة مركزيّة واحدة.

من بين أهالي بلاد ما بين النهرين، فضلاً عن السومريّين، فإنّ أقدم الشعوب التي يمكن تعيين هويتها من خلال الآثار المكتوبة، أو الكتابات الموجودة في المباني؛ الشعوب الساميّة (الأكاديّين أو أسلافهم)، والسوباريّين⁴ (أسلاف، أو أقارب الهوريّاتيين، الذين ظهوروا في أواخر الألفيّة الثالثة قبل الميلاد في شماليّ ما بين النهرين)، الذين لا نعرف شيئاً عن ماضيهم، ولا عن مسارات هجراتهم المحتملة.

¹ - Enki

² - Erech

³ - Uruk

⁴ - Subarians

في نهاية الألفية الرابعة، وبداية الألفية الثالثة قبل الميلاد، تنتهي مرحلة ما قبل التاريخ، ونصل إلى عتبة المرحلة التاريخية، المنعكسة في الآثار المكتوبة. يُنسب أول نظام كتابة إلى السومريين. يرى المؤرخون عادةً أنّ بداية التاريخ موازيةً لظهور أولى الآثار المكتوبة التي يمكن الاستفادة منها، وبناءً عليه، لا يصح إطلاقه إلا على قسم من بلاد ما بين النهرين، أي الجنوب، ومنطقة ديالة، وسوزيان، وقسم الفرات الأوسط. ظهور المدينة هو أهمّ تقدّم، حصل طيلة الألفية الرابعة قبل الميلاد. المقصود بالمدينة، مكان السكن الذي يقوم بدور المركز بالنسبة إلى عدة إلى مواضع أخرى، ويوجد فيه معبد أو أكثر يعود إلى إله أو عدّة آلهة رئيسيين، وفيه مخازن غلال واسعة، وأخيرًا صناعاته اليدوية متخصصة كليًا.

أقدم المدن المعروفة في جنوبيّ ما بين النهرين هي: إريدو، وإرك، وبَد- تيبيرا¹، ونيبور، وكيش. وضّحت الدراسات، كيفية التغيير التدريجيّ في عدد المواطنين، وحجمها النسبيّ، بشكل عام قلّ تعداد المَواطن الصغيرة أو الشديدة الصغر، وزاد عدد المَواطن الكبيرة. يمكن مشاهدة أوضح الأدلّة على تشكّل المدن في أوروك، والزيادة التي لا تُصدّق في حجم أبنيتها. من الطبقة السادسة حتى الرابعة في أوروك مبان مستطيلة أبعادها 83×52 م، عُثر فيها على أوانٍ لا تُحصى متماثلة حجمًا، من غير المستبعد أنّ إنتاجها الضخم كان بهدف توزيع المؤن اليومية. هذا الأسلوب أقدم نموذج للنظام الذي كان سائدًا لعدّة قرون في المدن الجنوبية من بلاد ما بين النهرين: إطعام قسم من السكّان من خلال تخصيص الطعام من جانب الحكومة.

من بين الدول- المدن المتعدّدة في بلاد ما بين النهرين، أدّت كيش بشكل عامّ منذ البداية دورًا رئيسيًا. بعد العام 2500 قبل الميلاد كان حكام بلاد ما بين النهرين الجنوبيّة يدعون دائمًا الحكم على شماليّ بابل أيضًا، ويسمّون أنفسهم ملوك كيش. إنّ تاريخ 2350 قبل الميلاد نقطة تحول في تاريخ ما بين النهرين لعدّة أسباب. لأوّل مرّة تنوجد في ما بين النهرين إمبراطورية، كانت القوّة المحرّكة لها الإمبراطورية الأكادية، نسبة إلى مدينة أكاد، التي اختارها سارغُن عاصمة له، وصار اسم "بلاد سومر وأكاد" اسمًا لبلاد ما بين النهرين.

¹ - Bad- tibirā



جورج رو، بين النهرين القديمة، طهران 1990م، تخطيط مؤسّسة الطوبوغرافيا

خريطة بلاد ما بين النهرين الطبيعيّة

في نهاية الألفيّة الثالثة، كانت بلاد ما بين النهرين، كحالتها في العصور السابقة، متنوّعة من الناحية العرقية. كان العنصر الأكاديّ هو الغالب، كما كان المتكلّمون باللغة الأكاديّة كذلك أكبر نسبياً من أصحاب اللسان السومريّ. يرى بعض المحقّقين أنّ الإشارة إلى السومريين والأكاديين في ذلك الزمان بشكل عامّ غير صحيحة، لأنّ السومريين كانوا على الأقلّ لمدّة ألف سنة يعيشون في جنوبيّ ما بين النهرين، من دون أيّ صلة بالشعوب التي تجمعها بهم قرابة محتملة، في حين أنّ السكّان الساميين تحدّدت حياتهم من خلال البدو الذين تحضّروا. أمّا الأموريين فهم المجموعة السكّانيّة الثالثة، التي حظي بعض أفرادها في عهد السلالة الثالثة في أور بمناصب ديوانيّة رفيعة، أمّا عامّتهم فقد كانوا يحيون حياة بدويّة، على شكل قبائل مختلفة، والهوريائيون كانوا يشكّلون المجموعة العرقية الرابعة الأساسيّة، وكانت لهم مكانتهم في شماليّ ما بين النهرين، وفي ضواحي كركوك الحاليّة.

في تاريخ ما بين النهرين، كان أفول سلالة أور الثالثة حدثاً، توجد في كلّ مرحلة لاحقة أخرى جزئيّات وتفاصيل أكبر حوله: القحط وهجوم العيلاميين وحلفائهم الآخرين من القبائل الإيرانيّة، الذين احتلّوا أور وهدّموها.

في العصور البابليّة القديمة، حين سقطت السلالة الثالثة في أور، استقرّ إيشي أرا¹ في إيسين²، وأسس فيها سلالةً استمرّت من العام 2017 حتى العام 1794 قبل الميلاد؛ وحذا حذوة أيضاً حكّام المدن الأخرى المحليّون - مثل دير، وإشنونا، وسيبار³، وكيش، ولارسا - كان هنالك ميلٌ لتقليد أتمّوزج أور في عدد كبير من هذه المدن. كانت إيسين من بين العدد الكبير للدول - المدن التي كانت تظهر ببطء، تحظى بالسلطة الأرفع لمدّة قرن تقريباً.

على العكس من جنوبيّ ما بين النهرين، أو منطقة الفرات الأوسط (ماري⁴)، فإنّ المصادر المكتوبة في أور لا تبدأ قبل السلالة الثالثة. كانت منطقة آشور تقع في الأراضي المشرفة

¹ - Ishbi- Erra

² - Isin

³ - Sippar

⁴ - Mari

على نهر دجلة شماليّ مجرى هذا النهر، بين مرتفعات جَبَل حَمْرِين [بارمًا*] وصولاً إلى المنطقة الواقعة شماليّ نينوى، وكذلك الناحية الواقعة بين نهرَي الزاب الأصغر والزاب الأكبر، والأراضي الشماليّة من هذه الناحية. أمّا مدّتها الرئيسيّة فهي: آشور، ونينوى، وأربيلوم¹ (أربلا² في ما بعد، وأربيل حالياً). كان الآشوريّون كمعاصريهم في جنوبيّ ما بين النهرين يعملون في التجارة. وكانت آشور لمدة من الزمان محاذية حدوديّاً لبابل حمورابي (حوالي العام 1792-1750 قبل الميلاد). بعد ذلك انفصلت ماري عن بلاد آشور، ونالت استقلالها. وفي نهاية المطاف فتح حمورابي ماري وهدّمها.

في الإمبراطوريّة البابليّة القديمة، كان حمورابي أشهر شخصيّة سيطرت على المدن العديدة في بلاد ما بين النهرين الجنوبيّة. بعد أن خلع الحثيّون آخر ملك بابلي عن العرش، استلم الكاسيّون في العام 1595 قبل الميلاد زمام الأمور في بابل. في أواخر الألفيّة الثالثة قبل الميلاد، دخل الهوريائيّون مدار حضارة الشرق الأدنى؛ وقد جاؤوا من شماليّ أو شرقيّ بلاد ما بين النهرين. لم يصل عصر الهوريائيّين إلى أوج ازدهاره قبل أواسط الألفيّة الثانية تقريباً. في القرن الخامس عشر قبل الميلاد كان الهوريائيّون يشكّلون أرقى وربما أضخم مجموعة سكّانيّة في الإمبراطوريّة الميتانيّة³. ظهرت ديار الميتانيّين بعد العام 1500 قبل الميلاد بقليل بالقرب من منابع نهر الخابور. وقد اكتُشف عددٌ من مواطنهم في بلاد ما بين النهرين. في العام 539 قبل الميلاد احتلّ قورُش الأخمينيّ بلاد ما بين النهرين. وقد ظلّت بابل في هذا العصر، على العكس من آشور دياراً غنيّة. في العام 331 قبل الميلاد قرّر الإسكندر المقدونيّ، بعد أن فتح إيران، أن يجعلَ بابل إحدى عواصمه، وشرع في إعمارها وإنشاء المباني فيها، لكنّه سرعان ما بنى مدينة سلوقية على ضفّة نهر دجلة، وجعلها عاصمته الجديدة.

في القرن الأوّل قبل الميلاد توجه الأرمن إلى بلاد ما بين النهرين، لكنّ البارثيين ردّوهم على أعقابهم. بعد ذلك سيطر الرومان فالساسانيّون على بلاد ما بين النهرين، وبعد انتصار المسلمين على الساسانيّين دخلت هذه المنطقة في حياض العالم الإسلاميّ (للاطلاع على تاريخ المرحلة الإسلاميّة ← العراق*؛ ابن عمر، جزيرة*؛ الموصل*؛ ديابكر*؛ البصرة*؛ الكوفة*).

/مستلّ من (بريتانیکا)/

¹ - Urbilum

² - Arbela

³ - Mitanni

بينالود. سلسلة جبال في الشمال الشرقيّ من إقليم خراسان. تمتدّ من الناحية الشماليّة الغربيّة - الجنوبيّة الشرقيّة من قضاء وناحية سرولايت في محافظة نيسابور، حتى ناحية جلغه رُخ في محافظة تربت الحيدريّة، بطول 125 كلم (رزم آرا، مج9، ص 430؛ الجعفريّ، مج1، ص 126). تتّصل من الشمال الغربيّ بجبال آداداغ (تتمّة سلسلة جبال ألبرز)، وهي في الواقع تتمّة لها (جغرافية إيران الكاملة، مج1، ص 602). تتوسّط سلسلة جبال بينالود، جبال باروباميسوس¹ (التابعة لهندوكش) وجبال ألبرز، ولها من هذه الناحية أهميّة خاصّة. هذه المنطقة (سلسلة جبال بينالود وآداداغ وبشت كوه) منطقة زلازل، معرّضة للهزّات الأرضيّة (إيرانيكا، المادّة نفسها). على سبيل المثال، ضربت هزة أرضيّة في العام 1267هـ منطقة سرولايت بشدّة. في العام 1288هـ تهدّمت مدينة قوشان بالزلازل، وكذلك في العام 1311هـ. في هذا الزلزال الأخير، تعرّضت ضواحي أترك العليا المكتظّة بالسكّان، ومنطقة سرولايت إلى أضرار فادحة، فسالت القنوات، وظهرت في الأرض تشققات وصل عمقها من خمسة إلى ثمانية أمتار (أمبرسز وملويل، ص 189، 195).

تُعدّ سلسلة جبال بينالود، الحدود الطبيعيّة لمحافظة نيسابور ومشهد، ويقع في أطرافها الجنوبيّة قضاء بينالود. لسلسلة الجبال هذه عدّة قمم، أعلاها قمّة بينالود، ذكرت بعض المصادر أنّ ارتفاعها حوالي 3211م، وذكرت مصادر أخرى أنّه 3350م. تقع قمّة شيرباد وارتفاعها التقريبيّ 3200م وقمّة زرغران حوالي 3100م جنوبيّ قمّة بينالود (الجعفريّ، مج1، ص 126؛ الخريطة الطبيعيّة والسياسيّة للجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة؛ كيهان، مج1، ص 43).



قدرت الله كسرايين، جبال إيران، طهران 1376هـ.

بينالود (أواخر الخريف) نيسابور

تصبّ ينابيع جنوبيّ بينالود بشكل أساسيّ في نهر كال شور، وينابيع شماليّ هذه الجبال في نهر كَشَف (الجعفريّ، م. ن، ص. ن). دوّن حمدالله المستوفيّ أيضًا في القرن الثامن الهجريّ معلومات عن النهر الفائض المياه الذي ينبع من هذه الجبال، وأضاف: "على الجانب

¹ - Paropamisus

الشماليّ، على قمّة الجبل نبُع على بعد خمسة فراسخ، يُطلق عليه اسم النبع الأخضر، ويخرج منه ماء حلو أخضر" (ص 148 - 149).

تقع مدينة قدمكاه [موطىء القدم] في جنوبيّ بينالود ومدينة طرّقه في شماليّه، تعبر جادّة طهران - مشهد من سفحه الشماليّ (كيهان، مج 1، ص 46)، والطريق الحديديّ طهران - نيسابور - مشهد من آخر القسم الجنوبيّ الشرقيّ منه، وجادّة سبزوار - قوشان تعبر مرتفعاته. ذكر ابن حوقل أنّ الناس في عصره (القرن الرابع الهجريّ) كانوا يعبرون للذهاب من نيسابور إلى طوس مشاةً الشّعب الذي تقع نيسابور في وسطه، صعوداً، فيصلون إلى طوس (ص 453 - 454). وصف بارتولد هذه الجادّة القديمة أنّها بين سلسلة جبال بينالود (ص 131). يُستخرج من جبال بينالود، لا سيّما من قرية معدن (في قضاء بارمعدن)، حجر الفيروز (رزم آرا، مج 9، ص 401؛ المديرية الجغرافية للقوات المسلّحة للجمهورية الإسلامية الإيرانية، مج 32، ص 415). توجد في هذه الجبال أيضاً مناجم معدن الكروميت (جغرافية إيران الكاملة، مج 1، ص 643). وردت في كتاب حدود العالم (يعود تاريخ تأليفه إلى القرن الرابع الهجريّ) معلومات أيضاً عن مناجم الفيروز والنحاس والرصاص في ناحية طوس، مطابقة للموقع الجغرافيّ لجبال بينالود (ص 90).

المصادر والمراجع: ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، ط. كرامرس، ليدن 1967م؛ نيكولاس أمبرسز وتشارلز ملويل، تاريخ زمين لرزهای ایران [تاريخ الهزّات الأرضية في إيران]، ترجمه بالفارسيّة أبو الحسن رده، طهران 1370 ش [1991م]؛ فاسيلي فلاديميروفيتش بارتولد، تذكرة جغرافياى تاريخى ایران [التذكرة الجغرافية التاريخية لإيران]، ترجمه بالفارسيّة حمزة سردادور، طهران 1358 ش [1979م]؛ عباس جعفري، گيتاشناسى ايران، ج 1: كوهها و كوهنامه ايران [طوبوغرافية إيران، مج 1: الجبال الإيرانية وأسمائها]، طهران 1368 ش [1989م]؛ جغرافياى كامل ايران [جغرافية إيران الكاملة]، طهران: مديريةة البحوث والبرامج التعليمية، 1366 ش [1987م]؛ حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ط. منوتشهر ستوده، طهران 1340 ش [1961م]؛ حمدالله بن أبي بكر حمدالله المستوفيّ، كتاب نزّهة القلوب، ط. غي لسترنج، ليدن 1915م؛ ط. أوفست طهران 1362 ش [1983م]؛ حسينعلي رزم آرا، فرهنگ جغرافياى ايران (آبديها)، ج 9، استان نهم (خراسان) [معجم إيران الجغرافيّ (البلدات)، مج 9، الإقليم التاسع (خراسان)]، طهران 1355 ش [1976م]، 1329 ش [1950م]؛ المديرية الجغرافية للقوات المسلّحة في

الجمهورية الإسلامية الإيرانية، فرهنگ جغرافیائی آبادیها كشور جمهوری اسلامی ایران، ج32: مشهد [المعجم الجغرافيّ لمدن وبلدات الجمهورية الإسلامية الإيرانية، مج32: مشهد]، طهران 1368 ش [1989م]؛ مسعود كيهان، جغرافياى مفصل ایران [جغرافية إيران المفصلة]، طهران 1310 - 1311 ش [1931 - 1932م]؛ مشهد [خريطة]، طهران: المديرية الجغرافية للقوات المسلحة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، 1370 ش [1991م]؛ نقشه ژئومرفولژی جمهوری اسلامی ایران [خريطة جيومورفولوجية [على شكاله الأرض] للجمهورية الإسلامية الإيرانية]، طهران: المديرية الجغرافية للقوات المسلحة، 1370 ش [1991م]؛ نقشه طبعی و سياسی جمهوری اسلامی ایران [الخريطة الطبيعية والسياسية للجمهورية الإسلامية الإيرانية]، طهران: المديرية الجغرافية للقوات المسلحة، 1370 ش [1991م]؛

أجنبي...

/معصومة بادنج/

بيهق، بلدة، وناحية، وولاية قديمة في نيسابور (أبرشهر)، وهي اليوم أحد أفضية محافظة سبزوار. حظيت بيهق بأهمية فائقة لقرون متتالية لأسباب عدة، منها موقعها على رأس الطريق الرئيسيّ الرّيّ - نيسابور (ابن رسته، ص 169 - 171؛ ابن خردادبة، ص 22 - 24)، ولأنّها أخرجت من لا يُحصى من الفضلاء والعلماء والأدباء، ولأنّها كانت مركزاً من مراكز التشيع في إيران (ياقوت الحمويّ، مج1، ص 804).

نقل مؤلّف تاريخ بيهق في شرحه للاسم بيهق عدّة وجهات نظر، منها أنّ البعض عدّها بمعنى "أجود ناحية" من نواحي نيسابور، وقال آخرون إنّ الاسم مشتقّ من اسم شخص يُدعى بيّه، بنى قرية بيّه في عصر بيمن الملك، وقد بقيت آثار هذه القرية وسورها إلى (القرن السادس الهجريّ) عصر المؤلّف (علي البيهقيّ، ص 33). هذا التوضيح مشكوك في صحته، وقد تبنى الجغرافيون والمؤلّفون اللاحقون الرأى الأوّل، وذكروه في آثارهم (من بينهم ياقوت الحمويّ، م. ن، ص. ن؛ حافظ أبرو، ص 50؛ ومن المؤلّفين المعاصرين ← توماشك¹، ص 636).

¹ - Tomashek

على الرَّغْم من أنَّ بيهق تقع في منطقة أبرشهر القديمة، التي كانت عامرة، على الأقلّ منذ عصر البارثيين (← ماركوارت، ص 150)، لا تتوافر معلومات حول تاريخها قبل الإسلام على نحوٍ محدّد. ينسب حافظ أبرو في رواية له (م. ن، ص. ن) بناء قلعة خسروجرد (التي كانت في عصره قريةً من قرى بيهق) إلى كيخسرو.

لحق بيهق على مرّ العصور تغيير من حيث مساحتها وحدودها. ففي أوائل القرن الثالث الهجريّ في عهد عبدالله بن طاهر (213-230هـ)، كانت ناحية بيهق تضمّ اثني عشر قسمًا (ربعًا): أعلى الرستاق (يضمّ قرية بيهق)، وقصبة سبزوار، وطبس، وزميج، وخواشد، ووريان، وخسروجرد، وباشتين، وديوره، وكاه، ومزينان، وفريومد، وبشاكوه (علي البيهقيّ، ص 34-39). كانت بيهق في ذلك الحين تضمّ 395 قريةً، كان من بينها 321 قريةً، الخراجُ الذي تؤدّيه كعشريّة (ضريبة) يبلغ 796‘ 178 درهماً، و 74 قريةً خراجها 800‘ 57 درهم (م. ن، ص 34). في القرن السابع الهجريّ انخفض عدد القرى إلى 321 قرية (ياقوت الحمويّ، م. ن، ص. ن)، وفي القرن الثامن الهجريّ انخفض إلى 40 قرية (حمدالله المستوفيّ، ص 150)، وكانت قصبته (مركزها) خسروجرد (أبو الفداء، ص 442). آتخذت كانت بيهق معتدلة المناخ، واسعة الأسواق، وافرة الغلال، قليلة الثمار (حمدالله المستوفيّ، ص 149-150). في العام 444هـ، ضرب بيهق زلزال قويّ ألحق بها أضراراً فادحة (علي البيهقيّ، ص 52). في العام 464هـ، جُدّد بناء حصن المدينة بأمرٍ من الخواجة نظام الملك (وزير السلاجقة)، وفي العام 490هـ، هُدّم من جديد بأمرٍ من إرسلان أرغون بن ألب إرسلان (م. ن، ص 53).

يبدو أنَّ أوّل من وصف بيهق بأنّها ولاية هو حمدالله المستوفيّ (ص 149) في القرن الثامن الهجريّ. وفي القرن نفسه ضرب السربداران السكّة الخاصّة بهم في سبزوار (سميت، ص 75).

تقول الرواية التاريخية الأقدم المتعلّقة بيهق، أنَّ يزدجرد آخر الملوك الساسانيّين، قد توقّف فيها في العام 28هـ (علي البيهقيّ، ص 26). في العام 30 أو 31هـ فتح المسلمون بيهق (البلاذريّ، ص 403-404؛ الطبريّ، ص 4، ص 302؛ ابن الأثير، ص 3، ص 124؛ علي البيهقيّ، ص 25-26).

تكوّنت عائلة سادات بيهق، في القرن الثالث الهجريّ، بعد أن هاجر إليها عددٌ كبيرٌ من السادات العلويّين، الذين تربطهم صلة نسب بالطاهريّين، من ناحية الأمّ (علي البيهقيّ، ص

54-56)، وتحوّلت بيهق تاليًا إلى مركز من مراكز التشييع، وقد وصف عبد الجليل القزويني في القرن السادس الهجري مدينة سبزوار، بأنّها من المدن الشيعية (ص 202)، وكانت كذلك في القرون اللاحقة (← حمدالله المستوفي، ص 150؛ حافظ أبرو؛ ياقوت الحموي، م. ن، صص. ن). في الوقت عينه، ينسب إليها الكثير من العلماء، لا سيّما الشافعيين (الأسنوي، مج 1، ص 99، 117، 120؛ وتتمّة المقالة).



مؤسسة الطوبوغرافيا

خريطة بيهق التاريخية

لم تبق بيهق بمنأى عن الاضطرابات المذهبية التي حدثت في خراسان. ففي فتنة الخوارج في العام 213هـ، بقيادة حمزة بن آذرك قتلت أعداد غفيرة في مختلف أنحاء بيهق، لا سيّما في ششتمد وسبزوار، وتعرّضت المنطقة للكثير من الخراب (علي البيهقي، ص 44-45). كذلك في العام 489هـ، في أثناء المعارك التي دارت بين أهالي بيهق والكراميين، تعرّض أهالي المنطقة لأضرار فادحة (م. ن، ص 269). ومنذ أواخر القرن الخامس الهجري تحوّلت بيهق إلى ساحة لهجوم الإسماعيليين النزاريين (ابن الأثير، مج 10، ص 392). في العام 520هـ أرسل السلطان سنجر جيشًا إلى بيهق للقضاء على الإسماعيليين (م. ن، مج 10، ص 631). في القرن السادس الهجري في المعارك التي دارت بين السلاجقة والغزنويين تعرّضت بيهق مرّات عدّة للاجتياح والخراب (م. ن، مج 11، ص 88، 232؛ علي البيهقي، ص 271-272). في أثناء الاجتياح المغولي أصاب بيهق ما أصاب غيرها من القصبات والمدن في خراسان من تدمير وخراب (الجويني، مج 1، ص 118؛ وصاف الحضرة، ص 323). كانت ولاية بيهق في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري ضمن منطقة حكم السربداران، ولما استعان آخر الأمراء السربداريين، علي بن المؤيد (766-788هـ)، بالأمير تيمور، ضمت هذه الولاية إلى منطقة حكم تيمور؛ إلى أن تعرّضت بمدينة سبزوار في فتنة العام 785هـ إلى الكثير من الدمار والمجازر الرهيبة التي أوقعها بها تيمور (بطروشفسكي، ص 93، 95-96؛ ميرخواند، القسم 6، ص 1037-1040؛ أيضًا ← سبزوار*).

في العصر الصفويّ، أُعيد إعمار مدينة سبزوار أكبر مدن ناحية بيهق وأهمّها، ورُمّمت وازدهرت ازدهاراً كبيراً (دائرة المعارف الفارسيّة، مادّة "سبزوار")، ويبدو أنّ اسم سبزوار أُطلق على ناحية بيهق القديمة منذ ذلك الحين (← سبزوار*).

من علماء بيهق وأدبائها المعروفين الجديرين بالذكر، أبو الحسن محمّد بن شعيب البيهقيّ (المتوفّى سنة 324هـ) الفقيه والمفتي الشافعيّ؛ وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقيّ (384-458هـ) الفقيه الشافعيّ؛ وأبو عبدالله محمّد بن يحيى (المقتول حولي العام 432هـ)، الفقيه الإماميّ، جدّ ابن الشجريّ لأمه؛ وأبو الفضل محمّد بن الحسين البيهقيّ (385-470هـ)، المؤرّخ، مؤلّف تاريخ البيهقيّ؛ وأحمد بن عليّ البيهقيّ المعروف بلقب بو جعفر (470-544هـ)، اللغويّ، مؤلّف تاج المصادر؛ وأبو الحسن (ظهر الدين) عليّ البيهقيّ المعروف باسم ابن فندق (493-565هـ)، مؤلّف كتاب تاريخ بيهق، الذي دوّن فيه تفاصيل كثيرة حول تاريخها (الآغا بزرك الطهرانيّ، الطبقات: النابس، ص 38، الثقات العيون، ص 36، الأنوار الساطعة، ص 166-167؛ السمعانيّ، مج 1، ص 438-439؛ للاطلاع على فهرس مفصّل ← عليّ البيهقيّ، أماكن متعدّدة).

هنالك آثار باقية من عصر ازدهار بيهق، لا تزال موجودة في سبزوار والقرى والبلدات التي كانت من قبل ضمن منطقة بيهق (← محمود البيهقيّ، أماكن مختلفة؛ جغرافية إيران الكاملة، مج 1، ص 628).

اليوم يُطلق اسم بيهق على قضاء مركزه شِسْتَمَد في ناحية شِسْتَمَد من محافظة سبزوار.

المصادر والمراجع: محمّد محسن الآغا بزرك الطهرانيّ، طبقات أعلام الشيعة: النابس في القرن الخامس، ط. عليّ نقى المنزوي، بيروت 1391هـ/1971م؛ م. ن: الثقات العيون في سادس القرون، ط. عليّ نقى المنزوي، بيروت 1392هـ/1972م؛ م. ن: الأنوار الساطعة في المائة السابعة، ط. عليّ نقى المنزوي، بيروت 1972م؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت 1399-1402هـ/1979-1982م؛ ابن خرداذبة، كتاب المسالك والممالك، ط. دخويه، ليدن 1967م؛ ابن رسته، كتاب الأعلام النفيسة، ط. دخويه، ليدن 1967م؛ إسماعيل بن عليّ أبو الفداء، كتاب تقويم البلدان، ط. رينود وديسلان، باريس 1840م؛ جان مسن سميت، خروج وعروج سربداران، ترجمه بالفارسيّة يعقوب آجند، طهران 1361ش [1982م]؛ عبد الرحيم بن الحسن الأسنويّ، طبقات الشافعيّة، ط. كمال يوسف الحوت، بيروت 1407هـ/1987م؛ إيران. وزارة الداخليّة. المعاونيّة السياسيّة

والاجتماعية. مكتب التقسيمات الإدارية، سازمان تقسيمات كشوري جمهوری اسلامی ايران
 [مديرية التقسيمات الإدارية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية]، طهران 1377 ش [1998م]؛
 أحمد بن يحيى البلاذري، كتاب فتوح البلدان، ط. دخويه، في الجغرافيا الإسلامية، مج 42،
 فرانكفورت 1413هـ/1992م؛ علي بن زيد البيهقي، تاريخ بيهق، ط. أحمد بهمنيار، طهران
 1345 ش [1966م]، ط. أوفست طهران 1361 ش [1982م]؛ محمود البيهقي، سبزووار
 شهر ديرينه های پايدار [سبزووار مدينة الماضي العريق]، مشهد 1370 ش [1991م]؛ إيليا
 بافلوفيتش بطروشفسكي، نهضت سربداران خراسان [انتفاضة السربداران في خراسان]، ترجمه
 بالفارسية كريم كشاورز، طهران 1351 ش [1972م]؛ جغرافياى كامل ايران [جغرافية
 ايران الكاملة]، طهران: مديرية البحوث والبرامج التعليمية، 1366 ش [1987م]؛ عطاء الملك
 بن محمد الجويني، كتاب تاريخ جهانگشاي [تاريخ فتح العالم]، ط. محمد بن عبد الوهاب
 القزويني، ليدن 1911-1937م، ط. أوفست طهران [لا تا.].؛ عبدالله بن لطف الله
 حافظ أبرو، جغرافياى تاريخى خراسان در تاريخ حافظ أبرو [جغرافية خراسان التاريخية في
 تاريخ حافظ أبرو]، ط. غلامرضا ورهرام، طهران 1370 ش [1991م]؛ حمد الله بن أبي بكر
 حمد الله المستوفي، كتاب نزهة القلوب، ط. غي لسترنج، ليدن 1915م، ط. أوفست
 طهران 1362 ش [1983م]؛ دائرة المعارف الفارسية، بإشراف غلامحسين مصاحب، طهران
 1345-1374 ش [1966-1985م]؛ عبد الكريم بن محمد السمعاني، الأنساب، ط.
 عبدالله عمر البارودي، بيروت 1408هـ/1988م؛ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري:
 تاريخ الأمم والملوك، ط. محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت [1382-1387هـ/1962-
 1967م]؛ عبد الجليل القزويني، النقض، ط. جلال الدين المحدث الأرموي، طهران
 1358 ش [1979م]؛ جوزيف ماركوارت، إيرانشهر: برمناى جغرافياى موسى خورنى
 [إيرانشهر: على أساس جغرافية موسى خورنى]، ترجمه بالفارسية مريم مير أحمددي، طهران
 1373 ش [1994م]؛ محمد بن خاوندشاه ميرخواند، روضة الصفاء، التنقيح والتلخيص
 لعباس زرياب، طهران 1373 ش [1994م]؛ عبدالله بن فضل الله وصاف الحضرة، تحرير
 تاريخ وصاف، بقلم عبد المحمّد آيتي، طهران 1346 ش [1967م]؛ ياقوت الحموي،
 معجم البلدان، ط. فرديناند ووستنفلد، لايبزيغ 1866-1873م، ط. أوفست، طهران
 1965 ش؛

/وحيد رياحي/

بيوتات السلطنة. مؤسّسات تقدّم الخدمات لجهاز الحكم السلطانيّ [الملكيّ]. استُخدمت أحياناً كلماتٌ أخرى مرادفةً لكلمة البيوتات مثل كارخانة [دار العمل]، وأسباب واثاته سلطنت [تجهيزات السلطنة]. كما أنّ اللاحقة خانة التي شكّلت جزءاً من أسماء عدد كبير من المؤسّسات مثل توب خانة [مركز المدفعية]، وفراشخانه [دار الفرش]، دليل على صلة تلك المؤسّسات بالبيوتات. فضلاً عن ذلك، يمكن العثور على الكثير من المرادفات الأخرى، بديلاً من البيوتات أو اللاحقة خانة [البيت، الدار]، مثل الخزانة في خزانة الفرش بدلاً من فراشخانه [دار الفرش]، وخزانة الشراب بدلاً من شرابخانه [دار الشراب] (المقريزيّ، مج1، ص 408)، ولفظة دار في دار الضرب بدلاً من ضرابخانه، وحتى لفظة المجلس في "مجلس البناء والمرمة [الترميم]" بدلاً من بناخانه*.

تشمل البيوتات مؤسّسات متنوّعة، مثل آبدارخانه [دار السقاية = المسقاة]، وفراشخانه [دار الفرش]، وخیاطخانه [دار الخياطة]، وغيرها، التي لها كلّها طابع معيشيّ وخدماتيّ؛ توبخانه [مركز المدفعية]، وقورخانه [دار السلاح]، واسلحه خانة [دار الأسلحة]، التي لها طابع عسكريّ. شَعْرَبافخانه [دار حياكة الشّعْر]، التي لها طابع صناعيّ؛ طشتخانه [دار الآنية]، إدارة مهمّتها تنفيذ المراسم الاحتفاليّة؛ كذلك لفظة ضرابخانه [دار الضرب]، ولفظة الخزانة، المرتبطتان بالشؤون الماليّة، وغير ذلك من المؤسّسات التي تتولّى تأمين متطلّبات السلطة الحاكمة. يعود استخدام لفظة البيوتات بهذا التوسّع إلى العصر الصفويّ (906-1135هـ) ← تتمة المقالة؛ الميرزا سميعا، ص 28-34؛ كمبفر، ص 145-155).

ليس واضحاً كما يجب، متى كان استخدام هذا المصطلح للمرّة الأولى. بمعنى المؤسّسة الإداريّة [أو المديرية]. ففي المصادر الإسلاميّة أنّ عبارة "أهل البيوتات" في المحاوره، استُخدمت منذ العصر الساسانيّ (226-651م) (البلاذريّ، ص 284-549؛ الطبريّ، السلسلة الثانية، ص 858، 860، 866، 1046)، ويبدو أنّ المقصود بها السلالات القديمة، أو العائلات السبع، التي كانت تتولّى في الدولة الساسانيّة رئاسة الدواوين، أو بعبارة أخرى مديريات ذلك الزمن (كريستن سن، ص 130-131؛ أيضاً ← سامي، مج2، ص 46-47). ورد في المصادر كذلك عبارة "بيوت الأموال" (البلاذريّ، ص 414؛ الطبريّ، السلسلة الثانية، ص 873)، والمقصود بها على الأرجح بيت المال. هنالك شواهد على استخدام لفظة

البيوتات وأهل البيوتات. بمعنى العوائل الكبيرة والعريقة في مصادر القرون الخامس والسادس والسابع الهجرية أيضاً (ابن إسفنديار، مج1، ص 23؛ ميهني، ص 119؛ بهاء الدين البغدادي، ص 122؛ ناصر الدين المنشي الكرمانسي، ص 4). مع ذلك يبدو من خلال مصادر القرن السابع الهجري، أن لفظة البيوتات قد أُطلقت أيضاً على المؤسسات الخدمائية في السلطنة [المملكة] (تاريخ شاهي قراختايان [تاريخ القراختائيين الملكي]، ص 58، 185).

يمكن العثور على أول استخدام لكلمة البيوتات بمعنى المؤسسات الخدمائية في جهاز السلطنة الحكومي، في مصادر العصر السلجوقي (429-590هـ)، وبالأخص العصر السلجوقي الثاني (470-700هـ) (ابن بي بي، ص 10، 12، 71). في أواخر عصر الخوازمشاهيين (490-628هـ)، استُخدمت لفظة البيوتات بهذا المعنى أيضاً (النسوي، ص 254). لكن في عصر الإيلخانيين المغول (654-754هـ)، استُخدمت لفظة "كارخانة" [دار العمل] بدلاً من بيوتات (رشيد الدين فضل الله، مج2، ص 1049، 1135، 1351، 1511؛ شمس المنشي، مج2، ص 77، 83، 88)، ويبدو أن لفظة كارخانجات [جمع كارخانة بالفارسية = دور العمل] كانت تُطلق على البيوتات التي لها طابع إنتاجي. حسب شمس المنشي ال "كارخانة" [دار العمل] ديواناً من الدواوين (مج2، ص 77)، ولهذا السبب ربما عدّ بعض المؤلفين البيوتات مديريّة من مديريّات ديوان السلطنة وفرعاً من فروعها، وذكروا مؤسسات البيوتات مثل طشتخانه [دار الأواني]، وفراشخانه [دار الفرش أو دار الأثاث] وغيرها كمؤسسات موازية للبيوتات، وليس كمؤسسات تابعة لها (بياني، ص 178). مع ذلك، لا يمكن عدّ مؤسسات كطشتخانه وفراشخانه مؤسسات موازية للبيوتات، وإتّما فروع منها. يعتقد هوفمان أن كلمة "أردوبازار" التي استُعملت منذ عصر المغول اسماً لبلاط المغول المتنقل، كانت بمنزلة البيوتات، وظلّ ذلك سارياً في عصور التيموريين والآق قوينلو والقراقوينلو أيضاً (إيرانيكا، المادة نفسها).

في عصر التيموريين (771-912هـ) كانت اللفظة الشائعة بهذا المعنى هي لفظة كارخانة [دار العمل] (تيمور الغوركاني، ص 196، 200، 210، 216)، ونصادف للمرّة الأولى لقب "وزير كارخانه هاى سلطنت" [وزير دور العمل السلطانية]، لقب رابع الوزراء في جهاز الحكم التيموري، ومراقب المداخل والنفقات، والجهاز المالي، والخزانة، والإصطبل الملكي (م. ن، ص 304).

يقول هوفمان، إنَّ الـ "أردوبازار" قد فقد أهميته منذ العصر الصفويّ، وأسست البيوتات (إيرانيكا، م. ن، ص. ن). لكن على أساس الشواهد المتوافرة، هذا الكلام لا يبدو صحيحاً. ففي تلك الآونة كانت مؤسّسة الـ "أردوبازار" [البلاط السيّار] تؤدّي غالباً خدمات للجيش. توسّعت البيوتات جدّاً في عصر الشاه عبّاس الأوّل (996-1038هـ)، وباتت في ذلك العصر تضمّ العديد من المؤسّسات، وأعدادها المذكورة في المصادر متفاوتة، فهي 33 كارخانة (نصيري، ص 21؛ مينورسكي، ص 123) و50 كارخانة (كمبفر، ص 145) و32 كارخانة (شاردن، مج4، ص 1420). يرى شاردن أنّ متوسط عدد العاملين في كلّ دار من هذه الدور كان 150 عاملاً. ويقول إنّ نفقات دور العمل الملكيّة الـ 32 قد تجاوزت الخمسة ملايين إكو (350'000 تومان) (م. ن، مج4، ص 1421؛ إيرانيكا، م. ن، ص. ن). لم تكن أجور العمّال ثابتة، وكلّ ثلاث سنوات يتقاضون زيادة على رواتبهم (المزيد من التوضيح ← شاردن، مج4، ص 1421-1422؛ إيرانيكا، م. ن، ص. ن). يقول هوفمان إنّ عدد العاملين في البيوتات السلطانيّة كان خمسة آلاف (إيرانيكا، م. ن، ص. ن)، يتلقّون رواتبهم بواسطة الحوالة (برات) (شاردن، مج3، ص 1305).

في ذلك العصر كانت هنالك مناصب عديدة يتولّاها القيّمون على أمور البيوتات، أرفعها كما يبدو منصب نظارة البيوتات، الذي كان صاحبه يحمل لقب عالي الجاه المقرب الخاقانيّ، وكما ذكر نصيري كان "عمله خطيراً جدّاً". وكان موضع ثقة الشاه وكاتم أسراره، يقوم يومياً بدراسة برامج عمل البيوتات المقدّمة إلى الحكومة، ويمهره بالخاتم، ويتحقّق من التقارير المتعلقة بدور العمل، كما يراقب عمل صاحب الجَمْع (← تنمّة المقالة) في ديوان الضرائب، ويدفع المستحقّات، ويوظّف العاملين في البيوتات (نصيري، ص 20، 22، 24، 26؛ أيضاً ← الميرزا سميعا، ص 9-12).

كان ناظر البيوتات يتقاضى راتباً ومداخيل أخرى مجموعها سنوياً ستة آلاف تومان (نصيري، ص 21). يأتي من بعده في الأهميّة منصب وزارة البيوتات. كانت مهمّة وزير البيوتات دراسة برنامج عمل البيوتات يومياً، وتوقيعه، ومن ثمّ تحويله إلى ناظر البيوتات ليمهره بالخاتم. وكان كذلك يقوم بمراقبة حسابات كلّ أصحاب الجَمْع، والعاملين في البيوتات، ونفقات دور العمل الملكيّة (م. ن، ص 65). وكان يتولّى تسجيل جميع النفقات التي نالت موافقة الناظر، ويضبطها، ويدقّق بأثمان بعض السلع التي كانت تُشترى للبلاط (الميرزا سميعا، ص 34-35). كان يتقاضى ثمانين تومانا راتباً، وحصّة غذائيّة يومية مقدارها ألف دينار،

وتعويضًا سنويًا يبلغ 36 تومانا؛ فضلًا عن ذلك كانت تعود إليه مبالغ أخرى تُخرَج من نفقات البيوتات (نصيري، م. ن، ص. ن).

صاحب المنصب الآخر المهم، هو صاحب جَمْع البيوتات. ففي جهاز الحكم الصفوي، كان لكل واحد من البيوتات صاحب جَمْع خاص به، يتولَّى شؤون دار العمل هذا، وكان بعض أصحاب هذا المنصب يحملون لقب المقرَّب الخاقاني. كان أصحاب الجموع يحملون إلى ناظر البيوتات الحاجات الماليَّة لدور العمل مكتوبة - بعد أن تكون قد نالت موافقة المشرفين-. تُحوَّل هذه الوثيقة الخطيَّة بعد أن يدرسها وزير البيوتات ويسجِّل ملاحظاته عليها، ليوقعها وزير الديوان الأعلى، وكان صاحب الجَمْع على أساس هذا السند، يكتب قُبْض، ويتلقَّى المبلغ المطلوب (ميرزا سميعة، ص 28-34). في ذلك الحين كان المكتب الماليّ يتألَّف من ثلاثة أقسام، أحدها متعلِّق بالبيوتات (بوسه، ص 139). كان يتوجَّب على المشرف على البيوتات أيضًا، أن يسجِّل يوميًا إضبارات ومستندات دور العمل الملكيَّة، ويطلب الوثائق اللازمة من أصحاب الجموع وجامعي الضرائب، ويوصل المستندات هذه إلى المسؤولين الأرفع لتوقيعها (ميرزا سميعة، ص 35).

في عصر نادرشاه (1148-1160هـ)، ذُكرت أحيانًا أسماء البيوتات أيضًا (المروي، مج1، ص 112)، إنَّما يبدو أن لفظة كارخانة هي التي كانت متداولة (م. ن، ص 1، ص 407، مج2، ص 457، 739، 866)، ولم تكن البيوتات بالاتساع الذي كانت عليه من قبل، لأنَّ نادر ألغى بعض المناصب (م. ن، ص 2، ص 457). في عصر الزنديَّة (1163-1209هـ) استُخدمت لفظة كارخانة على نحو أوسع (نامي الإصفهاني، ص 11، 156؛ غلستانة، ص 16، 21، 33، 38-41، 54).

في العصر القاجاريّ (1209-1344هـ) كانت توجد مؤسَّسة اسمها وزارة البيوتات، واللافت أن هذه الوزارة، كانت تُحسب من ضمن الوزارات والمديريَّات الحكوميَّة، وليست مؤسَّسة ملكيَّة (سبهر، ص 45)، وبعض المؤسَّسات التي كانت من قبل جزءًا من البيوتات، ذُكرت منفصلة في فهرس المديريَّات السلطانيَّة الخاصَّة (م. ن، ص 44-45). مع ذلك، سُمِّي المستوفي (مج1، ص 380-421) عددًا كبيرًا من هذه المؤسَّسات تحت عنوان البيوتات، وشرح كلُّ ما يتعلَّق بها. يقول إنَّ مديريَّات الشؤون الشخصيَّة للشاه، التي كانت تنتهي باللاحقة خانة، كانت بمصطلح البلاط القديم، تُسمَّى بيوتات، علمًا أن بعض هذه البيوتات كان حكوميًّا، وبعضها نصف حكوميّ ونصف شخصيّ (م. ن، ص 1، ص 380). يقول

كذلك إنَّ مركز جميع البيوتات كان "خلوة" الشاه، وكان رؤساء البيوتات والعاملين فيها، وخدم الخلوات والفرّاشين يُحسبون جزءاً منها، وكان وزير البلاط (وزير الحضور) في ذلك الحين يُعدّ، إلى حدّ ما، رئيس كلِّ بيوت السلطنة (المستوفيّ، مج1، ص 389-390)، وعملياً رئاسة العاملين في "الخلوة" كانت في عهدة الشاه.

تدلّ شواهد استخدام لفظة البيوتات في مصر والشام والهند، كفراشخانة [دور الأثاث] وتشتخاناه [دور الأواني]، على أنّ إنشاء هذه المؤسسات متأثر بإيران. اللافت أنّ ابن المماتي (القرنان السادس والسابع الهجريّان) عدّ البيوت هي نفسها الحوايجخانة [دار الحوائج] (ص 354). كانت تستخدم في مصر والشام مصطلحات مثل شرايجخانة [دور الشراب]، وفراشخانة [دور الأثاث]، وتشتخاناه [دور الأواني] في القرن الثامن الهجريّ، وذكر أستاذار [الأسطادار] بصفته رئيس هذه المؤسسات (العمرّيّ، ص 134-135). تطرّق ابن شاهين أيضاً إلى شرح البيوتات، وسمّى الشرايجخانة، والتشتخانة، فراشخانة كمؤسسات مستقلة (ص 124). يبدو أنّ منصب "نظر البيوت والحاشية" (ابن كنان، ص 175) هو نفسه "ناظر البيوت والحاشية" الذي أشار إليه القلقشنديّ (القلقشنديّ، الفهرس، ص 434). يقول البقليّ (ص 342)، إنّ هذا المنصب كان يُحسب من ضمن الوظائف الديوانيّة، وكان صاحبه يتولّى إدارة بيوتات السلطان، والمطبخ ودار الشراب، والغلمان. في المتناول شواهد على استخدام مصطلح البيوتات في الشام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريّين (ابن كنان، ص 121)، وكان المتصدّي لهذا العمل يُسمّى أستاذار [الأسطادار (م. ن، ص 120، الحاشية 1). في الهند في عصر الغوركانيين (932-1274هـ) استخدم أيضاً مصطلح البيوتات، وأحياناً مصطلح كارخانة بالمعنى نفسه (برني، ص 135؛ بختاورخان، مج1، ص 123، 142، 146). في المعاجم الأردية، استخدمت لفظة البيوتات بمعنى البلاط (الرضويّ؛ الدهلويّ، مادة "بيوتات").

المصادر والمراجع: ابن إسفنديار، تاريخ طبرستان، ط. عباس إقبال، طهران [تاريخ المقدمة 1320ش [1941م]]؛ ابن بي بي، أخبار سلاجقة الروم، ط. محمّد جواد مشكور، طهران 1350ش [1971م]؛ ابن شاهين، كتاب زبدة كشف الممالك، ط. فؤاد سزغين، في الجغرافيا الإسلاميّة، مج79، فرانكفورت 1413هـ/1993م؛ ابن كنان، حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، ط. عبّاس صباغ، بيروت 1412هـ/1991م؛ ابن مماتي، كتاب قوانين الدواوين، ط. عزيز سوريال عطية، القاهرة 1411هـ/1991م؛ محمّد

بختاورخان، مرآة العالم: تاريخ اونغ زيب، ط. ساجدة س. العلوي، لاهور 1979م؛ ضياء الدين البرني، فتاوى جهاندارى [فتاوى سلطان العالم]، ط. أفسر سليم خان، لاهور 1972م؛ محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، مصر 1984م؛ أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، ط. عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، بيروت 1407هـ/1987م؛ هريرت بوسه، پژوهشى در تشكيلات ديوان اسلامى: برمناى اسناد دوران آق قوينلو وقراقوينلوا وصفوى [دراسة حول المؤسسة الديوانية الإسلامية: على أساس وثائق عصور الآق قوينلو والقراقوينلو والصفوي]، ترجمه بالفارسية غلامرضا ورهرام، طهران 1367ش [1988م]؛ محمد بن المؤيد بهاء الدين البغدادي، التوسل إلى التوسل، ط. أحمد بهمنيار، طهران 1315ش [1936م]؛ شيرين البياني، تاريخ آل جلاير، طهران 1345ش [1966م]؛ تاريخ شاهي قراختائيان [تاريخ القراختائيين الملكي] لمؤلف مجهول في القرن السابع الهجري، ط. محمد إبراهيم الباستاني الباري، طهران 1355ش [1976م]؛ تيمورغوركان، نزوكات تيمورى [القوانين التيمورية]، تحرير أبو طالب حسيني تربتي بالفارسية، ط. أوفست طهران 1342ش [1963م]؛ غياث الدين بن همام الدين خواندمير، قانون همايوني (همايون نامه)، ط. محمد هدايت حسين، كلكته 1359هـ/1940م؛ أحمد الدهلوي، فرهنگ آصفيه [المعجم الآصفي]، لاهور 1986م؛ رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ، ط. محمد روشن ومصطفى الموسوي، طهران 1373ش [1994م]؛ تصدق حسين رضوي، لغات كشورى اردو [الألفاظ الإدارية الأردية]، كراتشي 1989م؛ علي سامي، تمدن ساساني [الحضارة الساسانية]، شيراز 1342-1344ش [1963-1965م]؛ عبدالحسين بن هدايت الله سبهر، مرآت الوقايع مظفرى، و، يادداشتهاى ملك المورخين [مرآة الحوادث المظفرية]، و، مذكرات ملك المورخين]، ط. عبدالحسين نوائي، طهران 1368ش [1989م]؛ جان شاردن، سفرنامه شاردن [مدونة رحلة شاردن]، الترجمة الفارسية لإقبال يغمائي، طهران 1372-1375ش [1993-1996م]؛ محمد بن هندوشاه شمس المنشي، دستور الكاتب في تعيين المراتب، ط. عبد الكريم علي أوغلي علي زادة، موسكو 1964-1976م؛ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ط. دخويه، ليدن 1879-1901م؛ أحمد بن يحيى العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ط. محمد حسين شمس الدين، بيروت 1408هـ/1988م؛ أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى، القاهرة [تاريخ المقدمة 1383-1390هـ/1963-1970م]؛ آرتور امانوئيل كريستن سن، ايران در زمان

ساسانيان [إيران في عصر الساسانيين]، ترجمه بالفارسيّة رشيد ياسمي، طهران 1351ش
 [1972م]؛ انغلبرت كمبفر، سفرنامه كمبفر [مدوّنة رحلة كمبفر]، ترجمه بالفارسيّة
 كيكاووس جهانداري، طهران 1360ش [1981م]؛ أبو الحسن بن محمد أمين غلستانه،
مجمّل التواريخ، ط. مدرّس الرضويّ، طهران 1356ش [1977م]؛ محمد كاظم المرويّ، عالم
آراى نادري [صورة العالم في عصر نادر شاه]، ط. محمد أمين الرياحيّ، طهران 1364ش
 [1985م]؛ عبدالله المستوفيّ، شرح زندگانی من، يا، تاريخ اجتماعي واداري دوره
 قاجاريه [سيرتي الذاتية، أو، التاريخ الاجتماعي والإداري في العصر القاجاريّ]، طهران
 1360ش [1981م]؛ أحمد بن عليّ المقرزيّ، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،
 المعروف بالخطط المقرزيّة، بولاق 1270هـ، ط. أوفست القاهرة [لاتا.].؛ ميرزا سميعة، تذكرة
الملوك، ط. محمد دبیر سياقي، طهران 1368ش [1989م]؛ فلاديميروفيتش مينورسكي،
 سازمان اداری حكومت صفوی، يا، تحقیقات وحواشی تعلیقات استاد مينورسکی بر تذكرة
 الملوك [التنظيم الإداري للدولة الصفويّة، أو، تحقیقات الأستاذ مينورسكي وحواشي تعلیقاته
 على تذكرة الملوك]، ترجمه بالفارسيّة مسعود رجب نيا، طهران 1368ش [1989م]؛ محمد
 بن عبد الخالق الميهنيّ، دستور دبیری: متنی از قرن ششم هجري [القانون الإداري: نصّ من
 القرن السادس الهجريّ]، ط. علي الرضويّ البهاباديّ، بزد 1375ش [1996م]؛ ناصرالدين
 منشي الكرمانیّ، سمط العلی للحضرة العلیا، ط. عباس إقبال، طهران 1328ش
 [1949م]؛ محمد صادق نامي الإصفهانيّ، تاريخ گيتي گشا [تاريخ فتح العالم]، ط.
 سعيد نفيسي، طهران 1366ش [1987م]؛ محمد بن أحمد النسويّ، سيرة جلال الدين، أو،
التاريخ الجلالیّ، ترجمه من العربيّة بالفارسيّة محمد علي ناصح، طهران [تاريخ المقدمّة
 1324ش [1945م]]؛ علي نقی نصيري، القاب ومواجب دوره سلاطين صفويه [الألقاب
 والرواتب في عصر الملوك الصفويين]، ط. يوسف رحيم لو، مشهد 1372ش [1993م]؛

... أجني ...

/ناديا برغ نيسي/